

الموضوع الأول

حديث تفريج الكرب

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد قل: توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا».

[أخرجه الحاكم فى مستدركه (١/ ٦٨٩) رقم (١٨٧٦) وقال: صحيح الإسناد]

هذا حديث يساعد الناس على حل كثير من مشكلاتهم التى تواجههم فى حياتهم، (لو أعطيتك مائة أو خمسمائة أو ألف جنيه ستنفقهم) لكن هذا الحديث سيبقى فى قلبك و سيحل لك مشاكلك .

(ما كربنى) أى ما نزلت به - صلوات الله عليه و سلامه - نازلة أو كرب (ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل عليه السلام) أى أتى النبى ﷺ فى صورة الوحى أو فى صورة حسية فقال: يا محمد (بضم الدال) عندنا فى اللغة العربية المنادى العلم المقصود يضم، و هل هناك علم ومقصود ومنادى أفضل من سيدنا محمد ﷺ؟ «يا محمد قل: توكلت على الحى الذى لا يموت».

هذا دعاء لتفريج الكرب يساوى ملايين الدينارات والدولارات، وكثير من الناس يأخذون هذا الكلام بيقين فيفتح الله تعالى العظيم الكريم عليهم بما لا مثيل له.

قال أحدهم ذات مرة: وجدت ثمانية جنيهاً، وهذه النقود عندما وجدتها كنت في أمس الحاجة إليها، ولكنني ما قبلتها، وما أخذتها، وظللت أبحث وألثت وأجرى حتى وجدت صاحبة المال، وقال: وفي العصر أفاء الله على بثمانئة جنية، هذا فضله، وهذا عدله، وهذا ملكه، وهذا ملكوته، وهذا رضاؤه، من رضى فله الرضا .

والمسلم إذا كربه أمر أو كان عنده مشكلة أو عنده مصيبة فإنه يقول: «توكلت على الحى الذى لا يموت» تقولها أيها المسلم ثلاثاً، أربعاً تشتغل بها تزيد بسم الله ما شاء الله، دون أن تضع حداً لكرم الله عليك، وتقرأ الآية الأخيرة من سورة الإسراء: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ ١١ أى وقل - أيها الرسول - : الحمد لله الذى له الكمال والثناء، الذى تنزه عن الولد والشريك فى ألوهيته ، ولا يكون له سبحانه وليٌّ من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظمه تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له .

تقولها أربع مرات أو أكثر فلم يكن فى الحديث تفصيل بالعدد من باب الإقبال، والمتاجرة مع الله عز وجل .

«توكلت على الحى الذى لا يموت» ما اعتمدت على عافيتك، ولا على سلطانك، ولا على عصبيتك، ولا على منصبك، ولا على أهلِكَ، إنما اعتمدت على الحى الذى لا يموت، إن الذى ناداك أى الحى وقال لك فى سورة (الفرقان): ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ ١٢ أى وتوكل على الله الذى له جميع معانى الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذى لا يموت، ونزّهه عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيراً بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شئ منها، وسيحاسبهم عليها ويجازيهم بها .

ينظر الإنسان للأشياء بطبيعتها فيجد أن كل ما حوله يزول ولا بد أن يزول، وإذا لم يزل فإنه يُعطل، وإن لم يزل ولم تأت له نازلة أو خراب، فإنه لا يدوم كل شيء في هذه الحياة على هذا الحال، وسبحان الذى يغير من حال إلى حال.

نحن الآن فى شهر مايو ورغم هذا نزلنا من السيارة قبل قليل فإذا بمطر منهمر، قلت: هذا عظيم من ألطف الله، وأقول للناس الذين يقولون: إن الكون يسير بطريقة آلية ولا يحتاج إلى إله: إذا كان الكون يسير بطريقة آلية، فهل هناك مطر فى الحر الشديد؟ هل يمكننا أن نستشعر أن هناك برداً فى الحر الشديد؟ نعم، لأن الله تعالى هو المدبر، وهو المتصرف، وهو القائم بمملكه، وهو الذى يفعل ما يشاء، يُقلب ما يشاء، فهؤلاء غابت عنهم أساسيات عوالم هذه الحياة، يقلب الله الليل والنهار، إن فى ذلك لعبرة لمن؟ (لأولى الأبصار).

هل وجدتم ذات مرة أن الليل أتى، وقال لكم: أنا لن أنجلى سألحليها عليكم ظلاماً لأنكم عصيتم الله؟ لا، لم يحدث لكنه يتقلب لماذا؟ لأن الذى يقلبه الحى الذى لا يموت ففى قوله تعالى فى سورة فاطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝﴾ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا عن مكانها، ولئن زالت السموات والأرض عن مكانها ما يمسكهما من أحد من بعده، إن الله كان حلماً فى تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفوراً لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

مثال: والله المثل الأعلى، فلكى تُركب خيمة ارتفاعها متران أو ثلاثة وتحاول ضبطها من كل النواحي، ثم تأتى لها الرياح الشديدة من إحدى النواحي وتطيح بها، فانظر وتمتع واستمتع وتمتع نفسك بعظيم خلق الله جل جلاله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝﴾.

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِٰلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١] من الذل تعنى من الضعف، والله ليس ضعيفاً كى يحتاج قوياً غيره فهو القوى ﴿ وَأَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقد رأيتم أن ثلاثين ألفاً من الأحزاب تحزبوا حول مدينة رسول الله ﷺ - هذا رقم كبير جداً، وتخذقوا حولها وهى صغيرة فى الحجم، وما كان لهؤلاء من مخرج كى يغادروا هذا المكان، وكان لابد وأن يُظهر الله لهم قوته؛ لأنهم أتوا متعاضمين متكبرين، فأراد الله تعالى أن يُظهر لهم قوته، وأن يُذكر المؤمنين بنعمته .

ففى قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩] .

يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التى أنعمها عليكم فى "المدينة" أيام غزوة الأحزاب - وهى غزوة الخندق - حين اجتمع عليكم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها فوق الرعب فى قلوبهم، وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من ذلك شىء .

و كان الصحابة يتعجبون من صبره وثباته ﷺ، فهذا حذيفة بن اليمان ؓ الذى ذهب إلى بلاد الكوفة فقابل به أحد الناس فقال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال له: نعم .

هل عشتم مع رسول الله ﷺ ؟ قال له: نعم .

هل أكلتم مع رسول الله ﷺ ؟ قال له: نعم .

هل سافرتم مع رسول الله ﷺ ؟ قال له: نعم .

قال: و الله لو كنا كذلك أى إذا كنا مكانكم ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه فوق رؤوسنا أو فوق أكتافنا، فقال له: سأذكر لك حال رسول ﷺ عندما حوَّصر في مدينته صلوات الله عليه وسلامه فذكر له الأذى والبأس والشدة والضر والكرب الذى تحمله النبى العظيم (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)؛ لذلك أظهر الله تعالى قوته عندما اعتمد الكفار على قوتهم، واعتمد المسلمون على ربهم .

«توكلت على الحى الذى لا يموت»، فقد أتى الكفار بعدة وقوة ونفوذ، بينما استعان المسلمون بالحى القيوم، وقد أغاثهم الحى القيوم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] اذكروا إذ جاءوكم من فوقكم من أعلى الوادى من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادى من جهة المغرب، وإذ شخّصت الأبصار من شدة الحيرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلى كلمته.

ما هذا الجهال؟! ما هذه العظمة؟!

هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، ما الذى أنقذهم ؟ «إنى توكلت على الله ربى» ما الذى أنقذهم ؟ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ١٠].

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٦].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ١٠].

اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا
تجلى، ولك الحمد في الآخرة والأولى، ولك الحمد عدد كل نجم
وملك في السماء، ولك الحمد عدد الثرى والحصى والنوى،
ولك الحمد عدد ما في جَوِّ السماء، ولك الحمد عدد ما في جوف
الأرض، ولك الحمد عدد أوزان مياه البحار، ولك الحمد عدد
أوراق الأشجار، ولك الحمد عدد ما على وجه الأرض.

اللهم أنجز لنا ما وعدتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات من المغفرة،
وأتم علينا ما آتيتنا فإننا عبادك المساكين، فارحمنا يا الله.

اللهم لا تجعلنا ناسين لذكرك، ولا يائسين من إجابتك وإن
أبطأت عنا في سراء أو ضراء، أو شدة أو رخاء، أو عافية أو بلاء،
أو بؤس أو نعماء، فلك الحمد على كل حال إنك سميع الدعاء .